فَصلٌ في قصَّة يُوشع[١] بن نُون بن أفراثيم بن يوسُف

وقد ذكرنا أن موسى استخلفه[٢]، فلما توفي موسى قام يوشع بأحكام التوراة على منهاج موسى عليه السلام، وقسَّم الشام بين بني إسرائيل، وفتح البلاد وأباد الكنعانيين.

وقال أبو القاسم في «تاريخ دمشق»: يوشع أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما. قال: وفتح إحدى وثمانين مدينة، وقتل من ملوك كنعان نيفاً وثلاثين ملكاً[٣].

قلت: ومن أين بالشام ثمانون مدينة؟! وإنما فتح أَرِيْحا وقتل من كان بها وبأَيْلة، لما نذكر.

وقال ابن إسحاق: لما مات موسى عليه السلام جمع يوشع بني إسرائيل ونزل على أَرِيْحا وقاتلها قتالاً شديداً أسبوعاً كاملاً إلى آخر نهار الجمعة، فخاف يوشع أن تغرب الشمس ويدخل السبت، وكانوا قد أشرفوا على أخذها، فدعا يوشع وقال: اللهم احبس لنا الشمسَ، فوقفت دون الغروب قيد رمح حتى فتح البلد، وقتل الجبارين وجمع الغنائم وقرَّبوها، فلم تنزل النار ولم تأكل منها شيئاً[٤].

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن هَمَّام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «غَزَا نبيٌّ من الأنبياءِ فقال لقومِهِ: لا يتبعني رجلٌ مَلَكَ بُضعَ امرأةٍ[وهو يريد أن يبني بها ولما يبن]، ولا من بَنى بيتاً ولم يَرفع سقفَهُ، ولا من اشتَرى غَنَماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظِرُ أولادَها، فَغَزا فَدَنا من القَريةِ صَلاةَ العَصرِ، أو قَريباً من ذلك، فقال للشَّمسِ: أنتِ مأمُورةٌ، وأنا مأمُورٌ، اللهم احبِسها عليَّ شيئاً، فحُبِست حتى فَتح اللهُ عليهم، فَجَمع الغنائِمَ، فجاءت النَّارُ فلم تأكُلها، فقال: فيكم الغُلُولُ، فليُبايعنِي من كلِ قبيلةٍ رجلٌ، فَلزِقت يدُ رجلٍ بِيدِهِ فقال: فيكم الغُلُولُ، فليُبايعني قَبِيلتُكَ فلزِقت يدُ رجلينِ أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلُولُ، فَجاؤوا برأسٍ مثلُ رأسِ البَقرةِ من ذَهبٍ،

---

(١) في (ب): الباب التاسع عشر في قصة يوشع عليه السلام.

(٢) انظر فصل في وفاة موسى عليه السلام.

(٣) «تاريخ دمشق» ٢٤/ ٤٤٠.

(٤) انظر «المنتظم» ١/ ٣٧٧.

فوضَعَهُ تحت النَّارِ فأكَلَتهُ، فلم تَحِل الغنائمُ لأحدٍ قبلَنا، ذلك بأنَّ الله رأى ضَعفَنَا وعَجزَنا فَطيَّبها لنا». متفق عليه[١]. والذي رُدَّتْ له الشمس يوشع بن نون بإجماع العلماء، وكانت النار إذا نزلت فأكلت القربان علم أنه مقبول.

وقال ابن الكلبي: ولما فتح يوشع أَرِيْحا سار إلى البَلقاء فقتل بالقاً ملكها ـ وقد ذكرنا أن موسى قتله، وكان بالق من العمالقة ـ وفرَّق العمالقةَ من الشام ثم سار إلى أَيْلة وبها ملك العمالقة السَّميدَع بن هوبر فقتله، وفي ذلك يقول عمرو بن سعد[٢] الحميري:

ألم تَرَ أنَّ العملقيَّ ابن هَوْبَر بأيلةَ أَمسى لحمُهُ قد تمزَّعا
تداعت عليه من يهودَ جحافلٌ ثمانون ألفاً حاسرين ودرَّعا

وقال ابن الكلبي: ومن بقي من العمالقة وأفلت من يوشع ساروا إلى المغرب، فتفرقوا وصعدوا الجبال، فهم البربر بقيَّة الكنعانيين، وإنما سموا بالبربر لأن ملكهم قال لهم: ما أكثر بربرتكم أي حديثكم بلغتكم[٣]. وذكرهم الجوهري فقال: وبربر جيل من الناس، ذكرهم بغير ألف ولام، قال: والجمع البرابرة[٤].

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عمرو الصنعاني قال: أوحى الله إلى يوشع إني مهلكٌ من قومك مئة ألف، ستين ألفاً من خيارهم وأربعين ألفاً من شرارهم. قال: يا رب، فما بالُ الأخيار أكثر هلاكاً؟ قال: كانوا يجالسون الأشرار ولم يغضبوا قطُّ يوماً لغضبي[٥].

ذكر وفاة يوشع

قال ابن إسحاق: ولما احتضر يوشع استخلف كالب بن يوفنا وأوصى إليه، ودفن

(١) من قوله: قال الإمام أحمد . . . إلى هنا من (ب) وليس في (ط)، وأخرج الحديث: أحمد (٨٢٣٨) وما بين معكوفين منه، والبخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٢) في «ب» سعيد، وفي (ط): مسعود، والمثبت من مروج الذهب ١/ ٩٨.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ٤٤٢، و«المنتظم» ١/ ٣٧٨.

(٤) «الصحاح»: (برر).

(٥) «العقوبات» لابن أبي الدنيا (١٣)، وانظر «المنتظم» ١/ ٣٧٨.

يوشع في جبال الشراة، وقيل: بجبل يقال له: جبل كنعان، وقيل: أفرائيم.

واختلفوا في سنِّه: ذكر جدي في «أعمار الأعيان» أنه عاش مئة وعشر سنين، وكذا الحسن بن عرفة[١]. وقال أبو جعفر الطبري: عاش مئة وستاً وعشرين سنة. وقيل: مئة وعشرين سنة مثل موسى عليه السلام، وكانت مدة بقائه بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة[٢]، في زمان منوشهر عشرين سنة، وفي زمان أفراسياب سبع سنين.

من كان في أيامه من الملوك

قال الكلبي: كان منوشهر قد هلك في آخر أيام يوشع وملك أفراسياب، وكان أكثر مقامه ببابل، فأكثر الفساد في الأرض، وأفسد مملكة فارس، ورَدَم القني والآبار وغوَّر المياه والأنهار، فيبست الأشجار، فوثب عليه رجل من ولد منوشهر يقال له: زو، وقيل: زومن، فطرده عن مملكة فارس، فعاد إلى الترك وأصلح زو ما أفسده أفراسياب، ووضع عن الرعية الخراج سبع سنين، فعمرت البلاد وكثرت الخيرات، واستخرج من الفرات نهراً سماه الزاب بالسواد بأرض الكوفة، وبنى على جانبه مدينة وهي التي تسمى بالعتيقة، وكان عندها وقعات المسلمين مع الفرس. وهو أول من اتخذت له الألوان في الأطعمة. ولما جلس على سريره وضع التاج على رأسه وقال: نحن مجتهدون في عمارة ما أخربه أفراسياب؛ ثم مات فكان ملكه ثلاث سنين، وقيل: ثلاثين سنة، وقام بعده ولده كي قباذ، وكان متكبراً شبيهاً بفرعون، وكان نازلاً عند جيحون، وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة، ومنعهم أن يتطرقوا لبلاد فارس؛ قالوا: وعاش مئة سنة[٣].

(١) «أعمار الأعيان» ص ٩٣.

(٢) «تاريخ الطبري» ١/ ٤٤٢.

(٣) انظر «المنتظم» ١/ ٣٧٩ـ٣٨٠، وتاريخ الطبري ١/ ٤٥٣.